أدمغة ذكية نافذة إذاعية على واقع أدب الطفل

في ضوء الذكاء الاصطناعي .. رؤية نقدية

أ. رانيا الشحات سلامة

باحثة دكتوراه – كلية الدراسات العليا للطفولة – جامعة عين شمس

مقدمة:

أصبح مصطلح الذكاء الاصطناعي مصطلحًا شائعًا في هذه الأونة، فالكل يتحدث عن الذكاء الاصطناعي وأثره في مناحي الحياة المختلفة، وما يحدثه من تغيرات في شتى المجالات مستقبلاً، فكل المجالات أصبحت تفكر كيف توظف هذه التقنية في خدمة مجالها، ولا شك أن مجال الأدب وخاصة أدب الطفل ليس بمنأى عن الذكاء الاصطناعي.

أدب الطفل هو الأدب الذي يختص بما يضيف للأطفال المعلومة والفكرة ولكن بأسلوبهم وتغليف المعلومة بشكل تربوي يتناسب مع المراهقين، ونحن نعاني في كل أنحاء العالم وليس العالم العربي فحسب بندرة في كتَاب أدب الطفل الذين لديهم البراعة في كتابة القصة والأناشيد والخاطرة والمسرحية بشكل متقن ومعد للطفل، وهذا يجعلنا نضع آمالاً كبيرة على تقنية الذكاء الاصطناعي أن تقوم بدور كاتب الأطفال الذي يكتب للطفل محافظًا على الفكرة التربوية والأخلاق الحميدة فهل يمكن أن يتحقق هذا؟

إن الذكاء الاصطناعي مستقبلًا سيكون أمامه نموذجان من الكُتّاب، كاتب يعرف كيف يتعامل معه، وآخر غير قادر، إن هناك مستقبلًا مشرقًا ومستقبلًا مخيفًا في عوالم الأدب بأفرعه المختلفة، حيث إن هناك برامج ومواقع تستطيع التأليف بشكل جيد وبطريقة منمقة، بل إصدار كتاب في وقت وجيز.

الثورة التكنولوجية والمعلوماتية باتت جزءًا لا يتجزأ من حياة المجتمعات المعاصرة، في سياق المعرفة والثقاف والتي يندرج تحتها أدب الطفل، وهذا من الجوانب الإبداعية التي يوفرها الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته المتطورة عالميًّا.

تمتلك تطبيقات الذكاء الاصطناعي العديد من المعايير ذات الصلة بطبيعة (المدونات والمنتديات الأدبية والتطبيقيات الإلكترونية والتفاعل بالموهبة والكتاب الصوتى والقصة الرقمية والرواية الذكية)، والتي تحفز المراهقين على القراءة والكتابة، مع تطور تقنياتهم في سياق المعرفة الشاملة، وعليه؛ فإن الذكاء الاصطناعي وتقنياته في مجال الصورة والصوت في تركيز المعلومات والفهم الواضح للجوانب التي قد لا ينتبه لها الطفل عند سرد الأحداث، والإشارات التي ترمز لها، عبر توفير تجارب تفاعلية من خلال الروبوتات أو التطبيقات الذكية، يساعد الأطفال على ممارسة التعبير الحر، وإطلاق العنان للخيال والإبداع، من خلال تفاعلاته المستمرة والمتجددة، بهدف تطوير مهارات اللغة لدى الأطفال، من خلال تعلم الكلمات والقواعد اللغوية، وتحسين النطق والتواصل.

الانتقال إلى عصر الذكاء الاصطناعي:

يتمتع الذكاء الاصطناعي بالقدرة على إحداث ثورة في طريقة نسج علاقة تفاعلية بين أطراف ثلاثة هم الآلة والعقل البشرى والمنتج الأصلي للعمل، على سبيل المثال، يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لإنشاء أعمال أدبية جديدة، مثل الشعر أو الروايات، من خلال تحليل النصوص الأدبية الموجودة وإنشاء نصوص جديدة توليدية بناءً على الأنماط والموضوعات الموجودة في الأعمال الأصلية، ويمكن للذكاء الاصطناعي أيضًا توفير تجارب قراءة تفاعلية، من خلال السماح للمستخدمين بالتفاعل مع النص وتلقي التعليقات والتوصيات المخصصة.

بشكل عام لا تزال العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والأدب في طور التطور، ولدى الذكاء الاصطناعي القدرة على تغيير الطريقة التي يمكن بها انتاج أعمال أدبية وتسويقها والترويج لها واستهلاكها.

تطبيقات الذكاء الاصطناعي هي جزء لا يتجزأ اليوم من العملية التعليمية والتثقيفية لدى الأطفال، وتتداخل بشكل كبير مع ممارساتهم الدراسية والترفيهية، وسط حضور قوي (للمدونات والتطبيقيات الإلكترونية والتفاعل بالموهبة والكتاب الصوتي).

تغيرت طبيعة التلقى فالقراءة لدى الطفل، فطفل اليوم يقرأ بشكل مترابط ومتداخل وشبكي، وأصبح قادرًا على امتصاص هذه التقنية والتفاعل معها بسهولة، وذكاء شديدين ويتعامل مع التكنولوجيا بذكاء، فالطفل يقرأ في حالة

قُدم له الكتاب بطريقة تناسبه وتحظى باهتمامه، فالذكاء الاصطناعي والعقل البشري في سباق حيال ذلك، بإمكان أحدهما أن ينتج عملا أدبيا وليس بالضرورة أن يكون جيدًا، ولكن التقنية تأخذنا إلى أبعاد أخرى، والتفاعل مع الأدب الرقمي أضحى أكثر من الأدب المطبوع، أن التفاعل مع الذكاء الاصطناعي أصبح واضحًا وأكثر من ذي قبل.

والأدب الرقمي هو فن أدبي يستخدم وسائل التكنولوجيا الحديثة لإنتاج الأعمال الأدبية، يستخدم الأدب الرقمي الأجهزة الإلكترونية، مثل الحواسيب والهواتف الذكية، ويعتمد على البرمجة والتلاعب بالنصوص والرسومات والأصوات وغيرها من الوسائط الرقمية لخلق تجربة أدبية جديدة وتفاعلية.

والأدب الرقمي يستخدم التقنيات الذكية والذكاء الاصطناعي لإنشاء وتطوير الأعمال الأدبية، ويمكن للذكاء الاصطناعي أن يسهم في تحسين التفاعل وتكوين تجارب أدبية فريدة من نوعها، مثل تطوير شخصيات افتراضية تتفاعل مع القراء وتتكيف مع تفضيلاتهم واهتماماتهم، كما يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لتحليل النصوص الأدبية وتوفير تحليلات وافية عن الأعمال الأدبية ومعانيها.

في هذه الورقة البحثية نلقى الضوء على تجربة قدمتها إذاعة البرنامج الثقافي بالإذاعة المصرية في بث مباشر أسبوعيًا لمدة ستين دقيقة يتم خلالها التحاور مع المختصين على مائدة الآداب والفنون المعنية بالطفل والمراهق

والأشخاص العاديين، والذكاء الاصطناعي ذلك- الدماغ الذكي- الذي اقتحم حياتهم.

هذه الفترة المفتوحة على الهواء تأتى في سابقة هي الأولى من نوعها على موجات الثقافي بعنوان أدمغة ذكية لا تشبهنا التي تعرض كل أسبوع منحًى مختلفًا من مناحى الحياة الأدبية، والعلمية، والحياتية الاجتماعية والاقتصادية (الذكية).

يأتي ذلك في إطار اقتصاد المعرفة وخاصة المعرفة الذكية التكنولوجية الحديثة والتي تنمو نموًّا سريعًا ومتلاحقًا ويتم خلالها التعرف على فائدة الذكاء الاصطناعي للأدب وخاصة أدب الطفل، وهل بإمكانه أن يضيف الجديد لأدب وفنون الطفل، وكيف يتم توظيف الذكاء الاصطناعي لخدمة صناعة محتوى للأطفال؟ هذا هو الشق الذي يحتاج إلى تكثيف الدراسة عليه، والخروج بنتائج واضحة، كيف يستفيد المختصون بالتقنيات الذكية في صناعة محتوى أدبي وفنى للأطفال بالذكاء الاصطناعي؟ ومدى تأثير ذلك على أخلاقيات العمل الإبداعى واستمراريته عن طريق أداة بحثية أضحت نادرة في مجال البحوث الأدبية وهي المقابلة مع التحليل الكيفي لبضع حلقات طرقت باب الرواية الذكية والقصة الرقمية والمدونات والفن التشكيلى والموسيقى وغيرها من مجالات الإبداع لدى المراهقين.

- ماهي الإشباعات المتحققة للمراهقين من استخدام برامج الذكاء الاصطناعي في السرد الشفهي؟

الترجمة الذكية وأدب الطفل:

في عالم أدب الطفل، تحدث الكاتب محمد عبد الحافظ ناصف عن أهمية الترجمة في أدب الطفل، وخاصة ترجمة الأدب العالمي والقصص

العالمية بصورة مبسطة في تجربة هي الأروع، استخدم عددًا بسيطًا من الكلمات استطاع من خلالها أن يوصل الفكرة الرئيسية دون أن يخل بالمعنى والسياق لهذه الترجمات العالمية، ومنها جزيرة الكنز، هذا العمل العالمي الذي تم ترجمته وتقديمه في الأدب المصري للطفل في قصص مبسطة للطفل، وحينما تولى رئاسه الهيئة العامة لقصور الثقافة حمل على عاتقه مهمة الحفاظ على الهُوية الثقافية للطفل من خلال الاهتمام بكل فنون الأدب الخاصة بالطفل في مصر، من خلال عقد مسابقات من شأنها أن تقدم له الدعم والتحفيز على الإبداع في الفنون والآداب، وأن تفسح له المجال. وحين سُئل عن رأيه في أدب الروبوتات، أشار إلى أن هذا المصطلح خالٍ من الإبداع، حيث إن الإبداع صفة إنسانية خالصة، يمكن فيها الاستعانة بالتكنولوجيا في الأمور اللوجستية أو التي تعين على الكتابة والإخراج الفني للعمل، والتدقيق اللغوي وما إلى ذلك، كما يتم استلهام بعض الصور والتصميمات الفنية المعينة على فهم النص.

ولكن تتناسب هذه القصص مع التقاليد والأعراف العربية والمصرية، ولم تكن بعيدة عن عالم الطفل، بحيث لا تسبب له الغموض أو تفصله عن الواقع من خلال الشخصيات الروبوتية، فإن الخيال مطلوب، والموضوعات والأفكار المستقبلية يجب تناولها في القصص والأعمال الأدبية، خاصة الموجهة للأطفال في قصصهم وكتبهم، ولكن يجب أن تكون هذه القصص بصورة تعين الطفل على فهم الواقع والانتماء للوطن ومعرفة التاريخ.

كل ذلك يعد من استراتيجيات بناء الإنسان التي تسعى إليها المؤسسات الثقافية؛ فقد أصبح الذكاء الاصطناعي جزءًا لا يتجزأ من واقع الطفل اليومي، وامتد تأثيره إلى مجالات مختلفة؛ لذا على المؤسسات السعى لتعظيم الاستفادة من هذه التقنيات والتطبيقات وفقا لرؤية مصر ٢٠٣٠. ومؤخرًا، تم الإعلان عن إطلاق تطبيق توت الذي أطلقته الهيئة العامة لقصور الثقافة، ويتم من خلاله تقديم النصوص الرقمية للأعمال التقليدية في مجالات الأطفال والقصص المنشورة . كما يتم عقد المسابقات التي من شأنها أن تجعل الأطفال يقبلون على قراءة القصص والاستفادة من الرسائل الموجهة لهم، وبذلك، تكون قد تحققت المعادلة بين التقليدي والتقني في عالم أدب الطفل، لبناء إنسان قادر على حماية نفسه أولاً وحماية وطنه ثانيا بفكر سليم يبعد عن التطرف والإرهاب يستحيل استقطابه واستخدامه ضد مصلحه الوطن.

مستقبل مجلات الأطفال في ظل الذكاء الاصطناعي:

تحدثت الدكتورة شهيرة خليل، رئيس تحرير مجلة سمير، عن التحديات التي تواجه مجلات الأطفال في ظل استخدام الذكاء الاصطناعي، وأشارت إلى أن هذه التقنيات أدت إلى تطوير استراتيجية المجلة والسياسة التحريرية بحيث تتناسب مع هذه التطورات التكنولوجية، من خلال إضافة عنصر الحداثة والرقمنة، وكذلك بعض الأبواب الجديدة التي تم استحداثها في المجلة لمواجهة المنافسة ولتكون على نفس القدر من التميز الذي بدأت به واستمرت عليه

طوال هذه الأعوام . فإن الاستمرارية تأتي دائمًا من التطوير، وإذا أصبح العمل خاليًا من مواكبة العصر، فإنه ينفصل عن الواقع ولا يأتي بالفائده المرجوة منه.

إنها تقدم قصصًا وحكايات تلائم العصر، مع تطوير شخصيات المجلة بما يتناسب مع الزمن أيضًا. وفي لمحة أخرى أشارت إلى أن هذه المجلة قدّمت أجيالاً وأجيالاً، حيث نشأ وتربى الجد والأب والحفيد على ما تقدمه المجلة من موضوعات، مما أدى إلى ارتباط نفسي كبير معها، وأسهم في بناء مستوى عالٍ من الثقة في هذا المحتوى، مما ألقى عليهم بالمسؤوليه في تقديم محتوى يتناسب مع العصر والوقت والتقاليد والأعراف، ويواكب التكنولوجية الحديثة بسياسات تحريرية من شأنها التطور الدائم.

تأثير التطبيقات الذكية على أخلاقيات الأطفال:

بالاطلاع على عدد من الدراسات المتخصصة في مجال أدب الطفل والذكاء الاصطناعي، تبين أن استخدام بعض التطبيقات قد يؤدي إلى فقدان الطفل لبعض الممارسات الأخلاقية الحميدة في المجتمع، مثل استخدام المساعد الذكي الذي يعتمد عليه المراهقون بشكل كبير في حياتهم اليومية، ليذكرهم ويوجههم ويقدم لهم النصح حتى إنهم يتعرفون على حالة الطقس قبل الخروج من المنزل باستخدام هذه التطبيقات من خلال المساعد الصوتي، وفي دراسة أجنبية تم فيها إثبات أن الاعتماد التام على مثل هذه التطبيقات للمساعد الصوتي يُفقد الطفل الحميمية في التعامل، ويجعله يتخلى عن الذوق وآداب السلوك الرفيعة، على سبيل المثال، قد يتخلى عن كلمات مثل من فضلك أو لو

سمحت أو بعد إذنك، ويتعامل بشكل أكثر جفاءًا وبعيدًا عن الأدب واحترام الآخرين، و ربما أفقدته مثل هذه التطبيقات تفاعليته في التعامل مع بعض السلبيات وأكسبته شيئًا من اللا مبالاة.

وعدم إبداء الرأي والانشغال بالذات، وإعلاء الذات على المصلحة العامة، وعدم الإقبال على الأنشطة الجماعية، يؤدي إلى التوحد أحيانًا والعزلة عن الواقع أحيانًا أخرى؛ كأن يجد الطفل سلواه في العزلة، ولا يلتفت لما حوله من أخبار، ولا يعبأ بآراء الآخرين، مما يكسبه صفة الفردية والبعد عن ممارسة السلوكيات الاجتماعية والفكر الجمعي، وعدم الاشتراك في المناسبات العامة والاندماج في المجتمع، وتفضيله لحالة العزلة المجتمعية التي فرضتها هذه التطبيقات؛ مما يسهل فيما بعد السيطرة عليه، ومن أكثر التطبيقات التي يقبل عليها المراهقون في مراحل مختلفة من أعمارهم هي الألعاب الإلكترونية التي قد تؤدي بهم إلى الابتزاز الإلكتروني والعنف الرقمي؛ كما أشارت الصحفية والباحثة في شؤون الطفل والمرأة أ. نجوى رجب في لقاء أُجري في الفترة المفتوحة أدمغة ذكية عبر أثير إذاعة البرنامج الثقافي إلى تزايد نسب العنف الرقمي الذي يتعرض له المراهقون، ويتم اختراق خصوصيتهم، والتعدي على حريتهم الشخصية، مما يؤدي إلى شعورهم بالخوف والقلق، وعدم القدرة على التعامل مع المشكلات التي تواجههم بشكل فعال، وإحساسهم بأنهم مُسيطرٌ عليهم وأنهم مسلوبو الإرادة.

الإنترنت المظلم dark web وحقوق الطفل:

أوضحت المتخصصة في الشؤون القانونية، المحامية أسماء تامر، أنه تناولت في الفترة الأخيرة عددًا من القضايا المتعلقة بالذكاء الاصطناعي واختراق الخصوصية للأطفال، وكذلك التعدي على حرمات الأسرة، مما يعد انتهاكاً للأخلاقيات، ما دعا إلى ضرورة وجود دراسات أخرى،للبحث في أخلاقيات التعامل مع الذكاء الاصطناعي من قبل المستخدمين والمتلقين، لا سيما الأطفال الذين يتعرضون للخداع بشكل أيسر، نظرًا لعدم إدراكهم لخطورة الأمر وتتنوع الأساليب التي يتبعها الذكاء الاصطناعي في التعامل مع هؤلاء الأطفال لاستقطابهم وجذبهم واستغلالهم، كما تلاحظ في الفترة الأخيرة مشاكل تتعلق بمواقع الدارك ويب التي تعتمد على انتهاك خصوصية الأطفال والتعدي على حقوقهم.

الرواية الذكية:

تم عرض تجربة ذكية فريدة من نوعها، ربما كانت هي الأولى في عالم الرواية الموجهة لليافعين والمراهقين في مصر، وقد تم تأليف الرواية بالذكاء الاصطناعي من الألف إلى الياء، وجاء عنوانها "حياة الذكاء الاصطناعي" تناول فيها الكاتب محمد أحمد فؤاد–الذي حل ضيفًا عبر الأثير– العديد من التحديات التي واجهت الذكاء الاصطناعي، وهو يتحدث عن نفسه في هذه الرواية، قائلاً إنه غير راض عن هذا العالم. وعند سؤاله، هل كانت هذه

التجربة غنية وممتعة بالنسبة لك؟ أجاب (نعم)، فأتبعه السؤال التالي: هل ستقبل على تكرار مثل هذه التجربة مرة أخرى؟ وكانت المفاجأة بالنسبة لي وبعض المستمعين أن الإجابة كانت (لا)، وبالتالي كان من البديهي توجيه السؤال اللاحق: لماذا؟ فأجاب قائلاً: لأن هذه التجربة بالفعل هي تجربة صماء جوفاء خالية من الروح، خالية من الإثارة، خالية من تدفق المشاعر، ولم يُعهد هذا الأمر في الروايات التقليدية من قبل. مما يعطينا مؤشرًا على أن الإبداع الاصطناعي هو إبداع خالٍ من الروح الإبداعية التي تكتسبها من المشاعر، حينما يكتب الكاتب، فإنه يخاطب الروح قبل أن يخاطب العقل، وبالتالي، إذا لم تتوفر هذه الصفة في الذكاء الاصطناعي، مثل الإحساس والمشاعر، فكيف يمكن أن يخاطب وجدان المتلقي؟ لا سيما الأطفال الذين يعتمدون في نموهم على احتياجات أساسية من الجانب الوجداني، ربما قبل العقلي وقبل السلوكي.

البصمة الرقمية للطفل:

أوضحت الدكتورة إيمان إبراهيم، الباحثة في مجال شؤون المرأة والطفل، جمود العلاقات الإنسانية التي تعتمد على التواصل التقني، والابتعاد عن التواصل التقليدي، ويبدو أن ذلك غير متوافق مع التطور التكنولوجي المتسارع، حيث يُعتبر الذكاء الاصطناعي من أهم التطورات التكنولوجية في العصر الحالي، مما يؤثر على تفكير الفرد، ويهيمن على الحياة اليومية بشكل متنامٍ، بدءً من الأنشطة البسيطة التي يمارسها الطفل يوميًّا. فكل ما يرتبط بالطفل وما يترك بصمته الرقمية عليه يعكس تفضيلاته واهتماماته وسلوكياته.

وبالتالي، فإن هذه التقنيات الجاذبة له يمكن استخدامها لتحويل القصص السلبية إلى قصص إيجابية مدعومة بتقنيات الذكاء الاصطناعي المختلفة، من خلال التطبيقات التفاعلية، وذلك لربط الأطفال بالتقاليد والأعراف الثقافية المستوحاة من التراث المحلي، لتعليم الأطفال، وذلك عن طريق القصص التفاعلية والألعاب الإلكترونية، والتفاعل بالموهبة.

التطبيقات الذكية والصحة النفسية للطفل:

أكدت الدكتورة إيمان جمعة شكر، الأستاذ المساعد في التربية الخاصة بكلية التربية بجامعة بنها، أن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في التعامل مع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، إذا تم بطريقة مهنية صحيحة من قبل المتعاملين مع الطفل، فإنه يفيد في التعامل مع بعض الاضطرابات النفسية التي يتعرض لها الطفل في سن مبكرة، وأحياناً كثيرة يتم من خلال هذا الوعي: الاستفادة من هذه التطبيقات في تعديل سلوك الأطفال، خاصة الأطفال ذوي فرط الحركة وتشتت الانتباه، بل، هناك بعض الأبحاث التي أكدت الاستفادة من هذه التقنيات بنسبة ضعيفة في الاستشفاء من طيف التوحد، على الرغم من وجود دراسات أخرى تؤكد أن الطفل الذي يتعامل مع تقنيات الذكاء الاصطناعي بشكل فردي ولمدة طويلة، ولعدد كبير من الساعات، يتعرض للإصابة بطيف التوحد، وقد يستغرق علاج هذا الاضطراب وقتًا أطول في التعافي، وأكدت أن هذه التقنيات تتيح تخصيص المحتوى والتفاعل مع القيم والتقاليد المحلية التي تساعد الأطفال على تطوير ارتباطهم بثقافتهم ولغتهم

وهويتهم بصورة أعمق، مما يُتيح لهم التعرف على التراث الثقافي بشكل تفاعلي وممتع. وذلك يتم بطريقة تشاركية مع القائمين على الاتصال، سواء في المدرسة أو في المنزل أو في محيط الأصدقاء في النوادي الاجتماعية.

تذوق الطفل للأدب والفن الاصطناعي:

رأى فنان الكاريكاتير والكاتب الصحفي أحمد عبد النعيم أن استخدام الذكاء الاصطناعي بتقنياته المتنوعة في الرسوم الكاريكاتورية التي تجذب الأطفال، وخاصة فئة المراهقين منهم الذين هم أكثر انجذابًا لهذا الفن، يفقد هذا الفن روحه كما يفقد التعاطف مع هذه الرسوم وما تحمله من معانٍ مختصرة في بضع خطوط، يستطيع الطفل والمراهق من خلالها أن يستشف العديد من الموضوعات، مما يكسبه مهارة التفكير الناقد.

الإبداع الاصطناعي:

تحدثت الدكتورة هويدا صالح، الناقدة الأدبية ورئيس تحرير مجلة مصر المحروسة التي تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة، عن جمود العلاقات الإنسانية التي تعتمد على التواصل التقليدي، والذي يبدو غير متوافق مع التطور التقني المتسارع؛ فالذكاء الاصطناعي هو من أهم التطورات التكنولوجية للعصر الحالي، التي تؤثر على تفكير الفرد وتهيمن على حياته اليومية بشكل متنامٍ، بدءًا من هذه الأنشطة البسيطة التي يمارسها الطفل يوميًا، من خلال البحث والإعجاب، وتركيب الأسماء الرقمية التي تعكس تفضيلاته واهتماماته

وسلوكياته. كما تدعم الفهم، وقد أُطلقت مصطلح الإبداع الاصطناعي، وهي تلك الخاصية التي يكتسبها أدب الطفل حين يتم تعامل الكاتب مع هذا النموذج الاصطناعي من التقنيات بالتطبيقات الرقمية، والتي ربما لا يستطيع الكاتب أو المتعامل مع أدب الأطفال التعرف عليها بشكل جيد، مما يكسبه صورة مشوهة، وبالتالي، تصل الرسالة إلى الطفل من خلال أدبه المرقمن بشكل غير صحيح، ويحدث هنا الخلل في إرسال الرسالة من خلال القصة الرقمية، الرواية أو أنواع الفنون الأخرى من الآداب التي يتلقاها الطفل، كما أوضحت الدور الذي تقوم به مجلة مصر المحروسة في عرض أحدث الرسائل والندوات والفعاليات الثقافية التي تتناول استخدامات الذكاء الاصطناعي، وتوظيفه في مجال الأدب بشكل عام وفي مجال أدب الطفل بشكل خاص.

تتشكل الهوية الثقافية للطفل في بداياته من خلال ارتباطه بعالم الآداب والفنون، ويتعرض أيضًا للتجارب المختلفة في البلدان الأخرى، ولكن: أين مصر من هذه التجارب؟ وكيف يمكن الاستفادة منها؟ يجب ألا نقف عند حد الرصد فقط، بل ينبغي علينا اقتحام المجال ودخول هذه التقنيات، وعدم الخوف من الوقوع في براثن الجهل بالتقنيات الحديثة، حتى نتمكن من الاستفادة من الاطلاع على هذه التطورات التكنولوجية، علينا تحقيق الفهم العميق لما يُحاك بنا وما يُدس لنا كالسُم في العسل في الأدب بأشكاله وفنونه، وأن نستطيع استقراء الرسائل الموجهة بصورة خفية في أعمال أدبية بشكل واعٍ، يحفظ لنا الهوية الثقافية والوطنية، ويحافظ على عقولنا البشرية، مهما حاولوا استخدام

أدلة مزيفة، فإن الواعِي هو من يطور نفسه لاكتشاف الزيف، ليكون على دراية بحضارته وينتمي إلى وطنه، ولا يصدق ما يتم ترويجه بسهولة، لأنه أصبح محصنًا بالمعرفة والعلم والثقافة؛ تلك هي الركائز الأساسية لمواجهة العدو الخفي الذي لا يُرى، لكنه يأتي إلينا في شكل متخفٍ يتجلى في زعزعة الثقة في جذورنا وأصولنا، والدليل على ذلك حركة الأفروستتريك، وكيف يتم التعامل مع هذا الفكر بمواجهته بالحجة والفكر الواعي السليم، وتلك هي المهمة التي تقع على عاتق المثقفين للحفاظ على أوطانهم وتراثهم وحضارتهم.

البنية التعليمية الذكية:

الأستاذة الدكتورة تفيدة غانم، الباحثة بالمركز القومي للبحوث التربوية، أشارت إلى الاستفادة من تقنيات التعلم الآلي في العملية التعليمية بأنماط التعلم المختلفة، العميقة والتقليدية، في ظل تعظيم الاستفادة من الإمكانيات المتاحة في البيئة التعليمية. وهذه التقنيات تستطيع تحليل اهتمامات الطفل وسلوكياته القرائية والتعليمية، وتقدم محتوى ثقافي وتعليمي يتناسب مع مستوى الفهم والعمر والبنية الاجتماعية للطفل. يستطيع هذا المحتوى المخصص مساعدة الطفل على فهم هويته والتفاعل معها بشكل أعمق، مما يمكّن الأطفال من بناء خلفيات متنوعة للاستفادة من القصص التي تم تخصيصها وفقًا لثقافاتهم الخاصة، سواء من خلال الأساطير المحلية أو العادات والتقاليد. إن هذا التطور التكنولوجي يتيح للأطفال قراءة القصص بلغتهم الأصلية، مما يساعد على الحفاظ على هويتهم اللغوية.

توظيف الذكاء الاصطناعي في اللغة العربية:

أشار إلى ذلك أ. د. محمد عبد الحميد خليفة، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة دمنهور، حيث أشار إلى أهمية ارتباط الطفل بلغته الأم. إن استخدام الذكاء الاصطناعي في اللغة العربية عبر التطبيقات المختلفة يمكن أن يساعد الطفل على الارتباط ببيئته بشكل رقمي تفاعلي، يمكّنه من التفاعل مع الأحداث وتعلم القيم والمبادئ الثقافية بطريقة ممتعة وشيقة. كما يمكن تقديم الكتاب الصوتي بصورة تجعل الطفل أكثر قربًا وشغفًا وحبًا للغته الأم، وخاصة أنه من ذوي الاحتياجات الخاصة الذين حُرموا من نعمة البصر، وأعلن أنه شخصياً كان من أكثر المستفيدين من هذه التقنيات في الكتاب المقروء وفي التطبيقات التي تحول النص المكتوب إلى نص مقروء، باعتباره كفيفاً، مما أكسب هذه التجربة نجاحًا ملحوظًا، وخاصة للأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة من مكفوفي البصر.

المسرح الذكي للطفل:

أشار كاتب أدب الأطفال وعضو لجنة فنون الطفل بالمجلس الأعلى للثقافة أحمد زحام إلى أن الذكاء الاصطناعي قد أوجد مصطلحات جديدة في عالم الطفل، مثل إنترنت الأشياء، والعملات الورقية، وإنسنة الآلات، وغيرها من المصطلحات التي أثرت بدور واضح في تشكيل الهوية الثقافية للطفل الذي يكتشف عالمه من خلال القصص التي يقرأها ويشاهدها ويتفاعل معها، ومن

خلال الأعمال المسرحية التي يشاهدها أيضًا، وكانت له تجربة فريدة النص المسرحي غير الموجه للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، إلا أنه تم تحويله فيما بعد عمليًّا على خشبة المسرح للأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة والإعاقات المختلفة، البصرية والحركية والعقلية بدرجات متفاوتة، حين تم تقديم العمل المسرحي الذي كتبه بعنوان "صانع الأقنعة"، وقدمه المخرج الفنان محمد فؤاد على المسرح للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث قامت بتقديم العرض الفرقة المسرحية من الأطفال المعاقين من ذوي الإعاقات المختلفة، مع الاستغناء عن الديكورات التقليدية التي قد تعيق حركة ذوي الاحتياجات الخاصة على المسرح، وتؤدي إلى رداءة العرض، إلا أنه استخدم التقنيات الذكية والشاشات على المسرح في تجربة فريدة استطاع فيها أن يدمج بين فنون المسرح والسينما في آن واحد. وكانت التجربة رائعة وممتعة سواء بالنسبة للممثلين، الذين هم من ذوي الاحتياجات الخاصة (الأطفال والكبار)، أو للجمهور، حيث كانت جذابة للمشاهدين، لقد أثرت هذه التجربة في عالم المسرح، الذي يعد رافدًا أساسيًا ومهمًا من روافد الثقافة للطفل.

الذكاء الاصطناعي بين الماضى والحاضر في أدب الطفل:

بينما تحدث الكاتب والقاص منتصر ثابت تادرس عن النتائج الملموسة لهذا التفاعل بين الذكاء الاصطناعي وأدب الطفل، التي تتجلى في إنتاج التجارب التعليمية والثقافية الأكثر شمولاً وتفاعلاً مع الأدوات الذكية، والتي يتعلم منها الأطفال، ألا وهي توليد القصص التي تلبي احتياجاتهم، مما يجعل

أنظمة التعلم ممتعة ومفيدة في آن واحد، ويسهم في تطوير مهارات التفكير الإبداعي لدى الأطفال ويعزز من قدرتهم على التعبير عن هويتهم الثقافية بطرق مبتكرة، وذلك من خلال كتابة قصص مؤلفة بشريًا تربط بين التكنولوجيا الحديثة في العصر الحالي، وشخصيات المصريين القدماء في محاولة لربط الطفل بتاريخه وتراثه، واستلهام نوع جديد من أدب الطفل يقرّبه من الماضي بصبغة الحاضر، بل ويعبُر به إلى مستقبل في عالم خيالي ومبهج، هذا مع الارتكاز على قصص المصريين القدماء، وله في ذلك سلسلة قصصية منها 'الفلاح الفصيح' وغيرها، التي استلهمها من التراث المصري القديم، وأكسبها صبغة الذكاء الاصطناعي والثورة التكنولوجية.

الفنون الذكية في أدب الطفل:

أما في عالم الفنون التي تجذب الأطفال وتعد رافداً ثقافيًّا ممتعًا وجذابًا للطفل، استطاع الفنان التشكيلي الدكتور عادل بنيامين، الأستاذ في أكاديمية الفنون السابقة، والذي لديه تجربة فريدة في استخدام التصميمات الذكية في نواحي الفن التشكيلي، أن يبدع في عمل لوحات فنية تشكل جزءً من هذا الفن، وأعلن عن تجربة أخرى لزميلة له في هذا المجال، قدمت عرضًا كاملاً من خلال معرض للفن التشكيلي وأعلنت أنه تم بالذكاء الاصطناعي. في إشارة منهما إلى أنه لا يجب أن نخجل أبدًا ونعلن أن العمل قد تم تصميمه بواسطة الذكاء الاصطناعي. وعلى المتلقي أن يقيَم هذه التجربة إما بالسلب، وإما

بالإيجاب؛ فمن الشجاعة ألا ننكر ولا نخاف من الإعلان عن استخدام هذه التقنيات التي أصبحت واقعًا في حياتنا.

الجغرافيا الذكية:

في حلقة أخرى، تم استضافة الأستاذة الدكتورة هبة عبد الرازق، أستاذة الجغرافيا والأكاديمية والفنانة التشكيلية، التي أوضحت لنا أن دراسة الجغرافيا قد ربطت بينها وبين الفن التشكيلي وبين الموسيقى أيضًا. فإن الارتباط بين الفنون يُهذب الطفل وينمي لديه ذائقة فنية متنوعة، ويجعله أكثر ارتباطًا بالبيئة وأكثر فهمًا لها. حينما ذكرت لنا مصطلح الجغرافيا الذكية، وكيف يمكن تعظيم الاستفادة من التطبيقات الخاصة بالذكاء الاصطناعي في عالم الجغرافيا، سواء في رسم الخرائط أو في رصد التغيرات المناخية، تلك الموضوعات لم تصبح أبدًا بمعزل عن عالم الطفل ولا عن بيئته.

خاتمة:

ختامًا، فقد تم عرض هذا الجزء من اللقاءات الإذاعية التي تناولت كل ما يحيط بأدب الطفل، وكل ما يتعلق بعالم الطفل من آداب وثقافة وفنون وروافد للمعرفة يحتاجها الطفل لتلبية احتياجاته ورغباته، ليتمكن من التعامل مع المجتمع بشكل سوي. ويصبح طفلاً واعيًا يتمتع بتنشئة اجتماعية سليمة، يستطيع من خلالها التعامل مع تقنيات الذكاء الاصطناعي في بيئة رقمية متخصصة تكنولوجيًا، ليواكب هذه التطورات. مما يعطي مؤشرًا إيجابيًّا هو أن

هناك جيلاً من الأطفال استطاع أن يستفيد من التقنيات الجديدة للذكاء الاصطناعي وأن يواكب تطورات العصر، وأن يستغلها استغلالاً إيجابيًّا يتفاعل مع موهبته الفنية والأدبية، بل وقدّم تجارب ذكية، ومنهم الإعلامية الصغيرة شكران حسين وفريدة مجدي وإسراء بدوي وسلوى محمد وجنى السيد وعدد آخر من الأطفال الذين بدأوا من سن صغيرة بالورش التدريبية في مجال المسرح وكتابة القصة القصيرة والمشاركة في المسابقات المختلفة، واستطاعوا من خلالها أن يكونوا أكثر وعيًا وتفوقوا على أقرانهم في استخدام هذه التطبيقات في إنتاج أعمال ذكية تنوعت مابين المسرحية والروائية والقصصية وأيضًا، استطاعوا أن يكونوا متميزين حتى في حديثهم وفي طريقة عرض أفكارهم في المنتديات واللقاءات، ومن خلال المدونات على وسائل التواصل الاجتماعي، وتلك هي الفائدة التي تحققت لهم من استخدام هذه التطبيقات، حيث لم يقتصر الأمر على تعلمها فقط، بل قاموا بتطوير أنفسهم من خلال التعرف على التقنيات المتطورة بشكل متلاحق ومتسارع، فإن التعرف على التطور لا يكفي، بينما متابعة التطور هي الأهم. فالتحديث مطلوب، والاطلاع على الجديد أيضًا مطلوب للحفاظ على الهوية الثقافية وإحداث التنمية البشرية في بناء الإنسان من خلال أدب ذكي للطفل المصري.

ويُعتبر الذكاء الاصطناعي مطلوبًا، رغم أن تحدياته لم تُزل، ولكن علينا التعامل معها لتطوير البنى التحتية، تعتبر المؤسسات الثقافية مسؤولة عن إقناع العقول بضرورة اقتحام هذا المجال، والتسلح بالعلم والرقمنة، والاطلاع

على المستجدات. كما يجب عدم إرهاب الأطفال حتى لا يشعروا بالخوف من استخدامهم لهذه التقنيات، مما يساعد على تحقيق الشجاعة الأدبية لديهم في الإعلان عن استخدام مثل هذه التقنيات الذكية في أعمالهم الأدبية وطريقة تناولهم للموضوع. خاصةً وأنهم مبدعون يسعون إلى التطوير والابتكار، وربما يقدمون لنا الجديد من التطبيقات، كما قدّمت لنا الطفلة إسراء بدوي، حينما قامت بتصميم تطبيق باللغة العربية يقوم بعمل معالجات للنص الأدبي، وما زلنا في انتظار المزيد من الإبداع الذكي في أدب الطفل، في عصر الإتاحة التكنولوجية برفقة تلك القرين الإلكتروني.